الفكر القومي ومحاولات التنغيل

الجزء الثالث

صلاح المختار

٥- استبدال الأصل القوي بالفرع الضعيف : عندما تسود الهويات الفرعية فإن الرابطة القومية بين العرب تضعف تلقائياً ويصبح الدفاع عن الهوية الفرعية هو الواجب وليس الدفاع عن الأمة بكافة أقطارها ، وما أن تظهر النزعة التجزيئية المرتدة إلى ما قبل الوطنية حتى نرى تحطيماً واضحاً لحالة التضامن العربي والدفاع المتبادل عن الأمن القومي العربي والوقوف إلى جانب أي قطر عربي يتعرض للعدوان أو الخطر ! ، وهنا تلعب قوى ثلاثي الشر (الصهيونية الأمريكية والإسرائيليتين الغربية والشرقية) دورها الميداني وهو دعم كل توجه ينتمي لمرحلة ما قبل القومية

والأمة حتى لو كان ايديولوجياً معادياً لهذا الثلاثي ، وهو ما رأيناه في العراق وسوريا بشكل خاص متجسداً بتغذية ودعم الفتن الطائفية والتغول العشائري والنزعات المناطقية ... الخ .

وهذا يفسر ظاهرتين اربكتا البعض وهما دعم المخابرات الأمريكية خصوصاً والمخابرات الغربية عموما لكتل شيوعية ، وهي نظريا معادية للغرب ، ضد التيار القومي الرئيس ، وإكمال العملية بدعم المخابرات الغربية لتيارات إسلاموية تبدو ظاهرياً مناهضة للغرب في صراعها مع التيار القومي الذي تعتبره (كافراً ومعاد للإسلام والمسلمين) ودمجها بتجمع واسع النطاق تحت غطاء المعارضة لنظام قومي أو تقدمي مثلما حصل للعراق قبل الغزو .

والسؤال هنا هو : كيف يمكن تصور تحالف الشيوعي (الملحد) والليبرالي الكافر مع الإسلاموي السني والشيعي الذي كفرهما ضد تيار قومي ليس ملحداً ولا كافراً وليس في أجندته عداء للغرب باستثناء الاستغلال الرأسمالي وموقفه كقوة استعمارية تنهبنا وتجاه القضية الفلسطينية ؟ .

هذه الأطراف المتناقضة الهوية ورغم كل تناقضاتها تتحالف وتتعاون ضد التيار القومي الذي تقوم أمريكا وبريطانيا بالعمل على إسقاطه بالغزو الخارجي ! ، في هذه الحالة تبرز بقوة لا يمكن اخفاءها حقيقة بالغة الأهمية وهي أن هذه الأطراف والقوى والدول ترى في التيار القومي العدو الرئيس لها – لأنه توحيدي – وأن لها مصلحة مشتركة وهي القضاء عليه كي يستطيع كل منها النجاح في النفاذ من ثغرة إسقاط نظام قومي ووطني وتحقيق أهدافها الخاصة مادام التيار القومي قوياً ومنيعاً بإمكانه الحاق هزيمة شاملة بكافة الأعداء .

٦– التنغيل والتعهير: وكي يستطيع ثلاثي الشر إحكام قبضته على الوطن العربي يجب أولاً أن يفكك ويشرذم ، وبما أن الهدف الرئيس في تدمير حصون الأمة العربية هو التيار التوحيدي القومي فيها لذا يجب دعم تشكيلات تنظيمية تبدو حاملة لهوية قومية ظاهرياً رغم أنها غير ذلك تماماً ، والهدف ليس فقط تصعيد العداء للتيار القومي الحقيقي المقاتل بل إضفاء صفات بالغة السلبية عليه وربما يكون مصطلح تعهير الفكر القومي ومصطلح تنغيله هما الأقرب للواقع فالتعهير يعني إسقاط القدسية والحصانة المعنوية عن شيء ما ، أما التنغيل فهي عملية إفقاده

أصالته ومشروعيته ، وهنا ولكي نقدم صورة ميدانية وعملية لا تقبل التشويش علينا تناول ظاهرة بالغة الوضوح في التعهير والتنغيل المتعمدين والمدروسين مخابراتياً وهي ظاهرة ما يسمى زوراً (المؤتمر القومي العربي) فهي تمثل الصورة الأدق لمفهوم تعهير وتنغيل الفكر القومي ، طبعاً بعد مثال حافظ أسد .

أول ما يلاحظ أن هذا المؤتمر جمع كافة التيارات المتنافرة من أقصى اليمين لأقصى اليسار وبينهما عناصر مغرقة في الانتهازية والتطفل وهي بلا هوية أصلاً وآخرين لا صلة لهم على الاطلاق بالتيار القومي بل هم من أشد أعداءه ، لأداء دوره المرسوم وهو شيطنة القومية العربية بتقديم أنموذج معهر ومنغل لها ، ولمنع أي سوء تفسير لابد من التأكيد على حقيقة أن أغلبية الأعضاء عناصر قومية مخلصة انتمت إليه قبل ظهور انحرافه وكانت تعتقد بأن هذا المؤتمر يمكن أن يكون داعماً للتيار القومي الذي يقاتل الامبريالية الأمريكية مباشرة في العراق أو غيره ، فهي لذلك أخذت تعترض على ما انكشف من نهج شعوبي جامح ورسمي ، والمقصود تحديداً هم المرتزقة الذين تدعمهم المخابرات الإيرانية ومخابرات أخرى وهم من يسيطر على توجهاته .

هذا المؤتمر يضم :

أ- الشيوعي السابق والحالي أو الماركسي اللينيني فيه وهو معاد للقومية العربية بحكم طبيعة الايديولوجية التي يؤمن بها وهو ما أثبتته عقود خمسة ماضية .

ب- الناصري بمختلف توجهاته في مرحلة ما بعد ناصر وهي توجهات متناقضة بمستوى يؤكد أن الناصرية ليست تياراً واحداً بل غطاء لأكثر من توجه ، ومنهم من دعم احتلال العراق ونشط من أجله .

ج- ورجال الدين بكافة تياراتهم الشيعية والسنية المتعاونة مع الاحتلال والمناهضة له .

د- العلمانيين المرتبطين بخطة تسييد الغرب والصهيونية تحت غطاء التحديث .

هـ - المرضى بعقد التزعم والذين فشلوا في أحزابهم الأصلية فوجدوا في تنظيمات فوقية نخبوية ضالتهم للبروز حتى ولو على حساب مصالح الأمة ! ، وهؤلاء تتميز مواقفهم بنزعة ثأرية تجاهر بالعداء لتنظيماتهم السابقة وتؤكد على أنها انتهت أو يجب أن تنتهي لأن انتهاءها من وجهة نظر سايكولوجياً المطرود من حزبه هي إثبات لما يريد إثباته عبثاً وهو أنه ما خرج أو طرد من الحزب إلا نتيجة صحة

موقفه ، لهذا أصبح همه هو إضعاف حزبه السابق بأي طريقة والتشكيك بما يحققه من انجازات .

و – عناصر مما كان يسمى المعارضة العراقية وهي مرتبطة بالمخابرات البريطانية والأمريكية والإسرائيلية فهل يمكن لجاسوس أن يكون قومياً ويعمل في صفوف تجمع قومي حقيقي دون أن يلوثه ؟ .

هذا التجمع المتناقض من حيث واقعه الفعلي ومن وجهة نظر صهيو – أمريكية – فارسية يجب دعمه من أجل إنهاء التيار القومي الأصيل والأصلي والذي تميز القرن العشرين وبداية القرن الجديد بشن حروب الصهيونية الأمريكية ضده ، وإيجاد قاسم مشترك بين مكونات هذا اللملوم المخترق نفسياً وتعزيزه بكافة الطرق والحرص على إخفاء الأهداف الحقيقية لمن يقود المؤتمر ويسيطر عليه واختيار شعارات أو مواقف قريبة من قلوب الناس وتدعم بعمليات سياسية مخابراتية تحطم بديهيات الواقع وتنشئ ظواهر تجذب الناس رغم أن من يقوم بها محاط بشكوك ويتبنى مواقف مرفوضة من منطلق قومي أو وطني مثل حزب الله .

ولهذا نجد أن المجموعة الأساسية المسيطرة على هذا المؤتمر ومنذ انحرافه عن الخط القومي الأصيل تستمد هيمنتها عليه مباشرة من حزب الله وما قام به حتى عام ٢٠٠٦ وهي سيرة تبدو إيجابية لأنه قاتل إسرائيل الغربية في جنوب لبنان فتوفر غطاء وطني وقومي لظاهرة مخابراتية إيرانية خطط لها كي تصبح قوة جذب واستقطاب للمثقفين العرب ولجماهير عربية مؤمنة بتحرير فلسطين وفقا لبديهية أن من يقاتل إسرائيل الغربية خصوصاً في زمن هزائم العرب يجب أن يدعم وبغض النظر عن هويته الايديولوجية وارتباطاته الإقليمية ، وهذه البديهية استغلت لدعم أدوات غزو إسرائيل الشرقية لأقطار عربية .

وعدم تجانس المؤتمر القومي هو مصدر تناقضات سلوكه مع تسميته فبما أنه مؤتمر قومي عربي فأنه منطقياً كان يجب أن يدافع عن الحقوق العربية والمصالح العربية ويحافظ على الهوية العربية في كل الأقطار العربية وضد كل أشكال الشيطنة والتآمر عليها والاحتلال لأراضيها ، لكن تناقضاته التكوينية والتي عبرت عن دوافع مختلفة أدت إلى انحرافه وتبنيه لمواقف خرجت كلياً عن أي مفهوم قومي عربي وغير عربي فهو مع إسرائيل الشرقية في كل مواقفها وضد العرب في كل مواقفهم

حينما تتناقض مع مواقف إسرائيل الشرقية ، وهذا اتجاه يظهر لأول مرة في الوطن العربي بهذا الحجم من الانحراف والتناقضات الصارخة والوقاحة إذ لم نرى جماعة أو حزباً يشهر دعمه لأي طرف إقليمي أو دولي معاد للعرب ويقوم باحتلال أراضيهم وتهجير الملايين منهم إلا المؤتمر القومي وميليشيات إسرائيل الشرقية والنغل الأقدم حافظ أسد .

ولكن كيف يمكن قيام مؤتمر تسيطر عليه نخبة من المنحرفين نفسياً ووطنياً ومتناقضة في كل شيء ما عدا الحصول على منافع ؟ ، كيف يمكن لمن طردهم حزبهم أن يكونوا منصفين وموضوعيين في تقييمهم لما يجري ؟ ، مواقف هذا الصنف مبنية على ومنطلقة من نزعة انتقامية جامحة .

أما الشيوعي فيه ولا ندري كيف يضم مؤتمراً قومياً شيوعياً يعتبر القومية رابطة بورجوازية تتناقض مع فكرة وحدة الطبقة العاملة ؟ ، أما الإسلامويين سنة وشيعة فهم عقدة العقد والتي لا تحل ولا تفسر في تركيبة المؤتمر المسمى قومياً ، لأننا نواجه تناقضاً حاداً لا يمكن تقديم أي تفسير مقنع له حتى بدرجة دنيا من المنطق فكيف يصبح الإسلاموي المعادي لكل فكر قومي ويعده (ماسونيا أو الحادياً)

ومناقضاً للأممية الإسلامية عضواً ناشطاً في مؤتمر قومي إلا إذا كانت لديه دوافع أخرى مخفية ؟ .

ز – من يمول المؤتمر ؟ ، مؤتمر يعقد اجتماعات سنوية دورية ويحضره مائة شخص تقريباً من مناطق متباعدة جداً يحتاج لتمويل وبدونه لا يمكن عقده أبداً فحتى لو افترضنا أن البعض يدفع تكاليف سفره فإن الأغلبية لا تدفع ثمن البطاقة والأهم أنها لا تدفع تكاليف الفنادق والتكلفة اللوجستية وهي ليست قليلة ، فمن يمول المؤتمر إذاً ؟ ، يجب أن أشير إلى أن العراق في ظل النظام الوطني كان يدعم المؤتمر مالياً حينما كان ظاهرة قومية تدافع عن القضايا العربية وكذلك أنظمة خليجية وغير خليجية ولكن هذا الدعم توقف من هذه الأطراف بعد أن تحول المؤتمر إلى أداة إيرانية صرفة يتبنى ما تريده إسرائيل الشرقية فقط ، الممول الرئيس للمؤتمر القومي الآن هو حزب الله ولهذا نجده يتحكم بتوجهاته مباشرة ، فلا يتخذ توصية أو قرار ولا يصدر بيان إلا بعد أن يوافق عليه حزب الله ، وتهمل كافة مقترحات واعتراضات المخلصين والقوميين الحقيقيين ، وهم الأغلبية ! أي أن المؤتمر يخلو من الديموقراطية فعلياً .

وطبعا حزب الله (بماله وسلاحه وغذاءه وشرابه من جمهورية إيران الإسلامية) كما اعترف حسن نصرالله في خطاب مسجل وعلني وكرر هذا الاعتراف ، ومن خلال تمويل إسرائيل الشرقية للمؤتمر فإنه أصبح رهينة المال الإيراني بالكامل خصوصاً وأن من يقوده من العرب في لبنان وخارجه يعتمدون على الدعم المالي الإيراني الشهري لهم ولمنظماتهم الكارتونية ولمكاتبهم وبيوتهم وسياراتهم وترفهم رغم أن أغلبهم ليس لهم عمل معروف يكسبون من خلاله مالهم ولو طبقت عليهم قاعدة (من أين لك هذا ؟) لزج بهم في السجون ! .

الارتزاق والاعتماد على المال الإيراني صار من أهم ما يميز المؤتمر القومي ووصل إلى المغرب العربي ! ، ولهذا يمكننا تفسير ظاهرة قد تبدو غريبة وهي أن المؤتمر ومنذ غزو العراق أخذ يدعم كافة خطوات وسياسات إسرائيل الشرقية وبلا أي استثناء فلو نظرنا إلى مواقفه سنجد أنه يدعم المواقف الإيرانية تجاه العراق وسوريا ولبنان واليمن وتجاه دول الخليج العربي ، فهل هذا طبيعي ؟ ، كيف يمكن لقومي عربي حقيقي أن يدعم دولة أجنبية تحتل الأحواز والجزر العربية وتعلن عداءها للعرب ولم يعد قادتها يخفون مطامعهم في الأقطار العربية ؟ ، أحدهم وهو آية الله يونسي

، كما غيره ، يقول ويكرر (بان إيران اصبحت تسيطر على أربعة أقطار عربية وأن بغداد أصبحت عاصمة الامبراطورية الإيرانية) ، وقائد الحرس الثوري الإيراني يؤكد أن بلاده (وصلت البحر المتوسط وأنها تتجه لتحرير السعودية ودول الخليج العربي) ، فكيف يكن لقومي عربي حقيقي أن يدعم دولة مثل هذه ويبقى عربياً ولا يوصف بالخائن ؟! .... يتبع .

Almukhtar44@gmail.com

5-7-2017

دليل الكتّاب

صفحة الكاتب صلاح المختار

فرسان البعث العظيم